في مهرجان الجمعية الخيرية الاسلامية

عيـــــد الاحسان

للشاعر محمود حسن اسماعيل

درجت الجمعية الخيرية الاسلامية على إقامة مهرجان سنوى لتستعين بايراده على بعض ما تقوم به الجمعية من شئون البر ؛ وتشترك في هذا المهرجان مختلف الطوائف.

وقد كان الخميس ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٣٧ هو يوم المهرجان فى هذه السنة ، وقد تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول بتشريف حفلة الجمعية التى أقامتها مساء ذلك اليوم بدار الأوبرا الملكية ؛ رعاية لهذه الجمعية ، وعطفاً على أغراضها النبيلة ؛ وقد كان لأحد أبناء دار العلوم — وهو الشاعر محمود حسن إسماعيل — شرف المثول بين يدي جلالته فى تلك الليلة ، ليلقي قصيدة من شعره فى تحية جلالته ؛ وقد تفضل جلالة الملك المعظم فاستمع إليه ، وشجعه بكلمات طيبة وعطف كريم . وهذه قصيدته :

نُوران : نورُ هُدًى ونورُ تبسُّمِ ... سَطعاَ ، فراح الشِّعْرُ يَسْطَعُ من فَمى

فهتفتُ : يادنيا الملائكِ طهِّرى ... وَتَرى ، وَمِنْ آياتِ وحْيِكِ أُلْهِمى

هاتي لىَ النغمَ الجديدَ ، بغيرِهِ ... ما اهتزَّ للشعَراءِ سَمْعُ الأنجُمِ

هاتي فإنَّ بعرْش مصرَ مُمَلَّكاً ... تاجُ العُصورِ بمثلِهِ لم يَنْعَمُ

أَوْفَى فرُحْتُ إلى الخمائلِ هاتفاً : ... هاتى الشَّذَا من زهرِك المتبسِّمِ

فُضِّى لحونَ الطير من لهَواتها ... وَمُرِى أغانيهَا تَرِنُّ بِمرْقَمى

ودَعى الصباحَ ونورَه ، ودعى الضحَى ... وعبيرَه ينسابُ طهْراً فى دمى

إنّى سأهْتف للمليكِ بآيةٍ ... بيضاءَ مثلِ جَبينِه المتوسِّمِ

مولاىَ ! فاهتزَّ الوجودُ مهللاً ... طرَباً ، وإنْ لم يَشْدُ أو يتكلمِ

منْ رام تغريداً بِظِلِّكَ فليكن ... لبلابلِ الخلْد السَّواجع ينتمي

اللهُ أكبرُ ! ما لسمكَ هِزَّةٌ بسِوَى حَمام الجنَّةِ المترنِّم !

* * *

« فاروقُ » حبُّك فى القلوب عقيدةٌ أخذَتْ سُراهَا فى القُلوبِ مع الدَّمِ
قسمَتْ مع الإيمان قُدْسَ مكانه فى الرُّوح ، وهْوَ لغيرهَا لم يُقْسَمِ
الشرقُ يقرأ فى جبينك آيةً فجرُ الربيع بنُورها لمْ يُوسَمِ
النِّيـــــل فسَّرها له متخايلاً : هٰذى مَنارَةُ كلِّ قلبٍ مُظْلِمِ
فيها عزاه الشَّرْقِ عن آلامِهِ وَمُناه بعد أسًى وطُول تجهُّمِ
الله سطَّرَها لتاريخِ الحِمَى بُشْرَى وثُوبٍ للعُلا وتقدُّمِ !

* * *

يا عاهلَ الإسلام كرِّمْ عصْرَهُ وأَنِر به حَلَكَ الوجودُ المعْتِمِ
ألقَتْ إليكَ يدُ الخنيف زِمامَها فأقَلْتَ عثْرَتها ، وقلتَ لها اسْلمى !
وبعثتَ عهد الراشدين بصولةٍ شرْعُ السَّماء بها حَديدُ المعْصَمِ
فرعَيْتَ عزَّ الصَّوْلجان ومَجْده وَخطرْتَ فى وَرَعِ النَّبىِّ الملْهَمِ
وحملْتَ مسبحة كأنَّ مَدارَها فَلَقُ الهدَى لِلحائر المتبرِّمِ
حبَّاتُها فِلَذُ القلوب خواشعاً عطَّلْنَ باللَّمَاتِ آمالَ الفَمِ
نَسَقٌ من المُلْكِ انفردْتَ بعزِّه لِسواكَ فى التَّاريخِ لمْ يَتقدَّمِ

* * *

فى دَوْلَةِ الإحْسَان قامتْ عُصْبةٌ للخَيْرِ فى جَنَبات عَرْشِكَ تحْتَمى
تأسُو إذَا جرحَ الزَّمان ، وَتَنْبرى قدَراً يُكفكِف دمعةَ المتيَّمِ
كم ثاكلٍ ردَّت فواجعَ قلبها نِعماً ، وأسبغَتِ النَّعيم لأيِّمِ
ستَّارة الأعْراض يَغْمُرُ جودُها لَيْلَ الحرَائرِ فى بَياضِ الأنْعُمِ

وترآبها المعوزين غرائس للقوت ، تثمر فى خريف العدم!
تعطي ولا منّ يشوب عطاءها وتجود جود العدل للمتظلّم
منن تدبّ إلى النفوس خفيّة يجري بها قدر الإله المنعم
فكأنها الأحلام تهبط فى الدجى للبائسين بخشعة وتحرّم
شرف العطايا أن تزف وحيدة كالسرّ بين تخفّر وتحشّم !
هي كعبة — للبؤس من إحسانها بشر النبات بغيثه المترحم
للعلم فى أكنافها ريّ النهى ولشكوة العلات برء المسقم
مولاى أسعدها بنورك إنها بهداك تفرع سابحات الأنجم
همم سبقن خطى الزمان بعزمة أوقدتها سبق القضاء المبرم
هتفت بك الدنيا فردّ هتافها شعب يفدّى بالقلوب وبالدم !

محمود حسن اسماعيل